رسالة في التسلية لمن كُفَّت عَيْنُه

صنَّفها

أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري

المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

حققها

الأستاذ هلال ناجي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بين يدي الرسالة

صنَّف هذه الرسالة الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المولود في زَمَخْشَر سنة ٤٦٧ هـ، والمتوفى في كركانج «قصبة بلاد خوارزم» ليلة عرفة من عام ٥٣٨ هـ.

والزمخشري غنيٌّ عن التعريف فقد انتهى إليه في عصره علم اللغة والنحو والتفسير وقد فَصَّلْنا القول في: مولده واسمه وكنيته ولقبه وشيوخه وفي أطراف من سيرته ووفاته ومن تلمذوا عليه ومذهبه وآراء المصنفين فيه، وما امتدح به شعرا وآثاره. فلا مبرر لإعادة نشر ماطبع في دورية وكتاب[1].

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الزمخشري، وأوسع القوائم التي وصلت إلينا أوردها ياقوت ؛ ذكر فيها واحداً وخمسين كتاباً أو رسالة من مصنفاته، أردفها بقوله : وغير ذلك. وأوسع القوائم في عصرنا هذا قدمتها الدكتورة بهيجة باقر الحسني ـ وهي من المتخصصات بدراسة

---

(١) نشرت دراستي ابتداءً في مجلة «عالم الكتب» السعودية ـ العدد الرابع، م١١ ـ ربيع الآخر ١٤١١ هـ ـ نوفمبر ١٩٩٠ ـ ص ٥١١ ـ ٥٢٤ بعنوان: الزمخشري : حياته وآثاره.
ثم نشرت في كتابي «أربعة شعراء عباسيون» ص ١١٩ ـ ١٦٢ ـ بيروت ١٩٩٤.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزمخشري ونشرت عدداً من آثاره المخطوطة ـ أحصت فيها ستة وخمسين كتاباً[١].

وفي رحلتي الموغلة عبر المخطوط والمطبوع وقفت على ذكر ثمانية وستين كتاباً للزمخشري صنفتُها إلى ثلاثة مجاميع : المطبوع فالمخطوط فالمفقود. ونشرتها في البحث المتقدم.

ثم أتيح لي بأخرةٍ الوقوف على مخطوطة جديدة له لم أكن عرفتها وهي:

«شرح المقامات»، فله كتاب معروف عنوانه «المقامات في المواعظ» وله شرح مستقل عليه، منه مصورة بخزانتي حالياً.

كما أُتيح لي الوقوف على مخطوطتين له كانتا تعدان في المفقود من آثاره، إحداهما الرسالة التي ننشرها اليوم وعنوانها «رسالة في التسلية لمن كُفّت عينُه».

وهي رسالة عَدَّها كل المهتمين برصد آثاره في الضائع من مصنفاته.

وقد ذكرها ياقوت بعنوان «تسلية الضرير» فيما ذكر من مصنفات الزمخشري[٢]. وأصلها في مجموع مخطوط محفوظ في كتابخانة ملك في طهران برقم ١٦٢٢ ورسالتنا هذه هي الرسالة الثانية في المجموع المذكور وتشغل منه الورقات (١٢ ب) إلى (١٧ آ). كُتب المجموع سنة ٥٨٩ هجرية ـ وقد ضممنا إلى نشرتنا هذه أنموذجاً منه ـ وهو بخط محمد بن أبي يوسف

(١) مقدمة تحقيقها لكتاب «المحاجاة بالمسائل النحوية» ص ٢١ ـ ٤٣ ـ بغداد ١٩٧٣.

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ تحقيق د. س. مرغليوث ٧ / ١٥١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن عمر.

وقد اعتمدت هذه المخطوطة الفريدة في تحقيق نص الرسالة. ووثقت نصوصها ما أمكنني ذلك، وحرصت أن أُفسّر من ألفاظها ما غمض. وقد استهوتني طرافة موضوعها، ورأيت في أسلوبها البليغ ماهو جدير بالإحياء

وأحمد الله ـ جلّت قدرته ـ أن وفقني إلى إحياء لبنة متواضعة من تراث الزمخشري الشامخ. إنه المعين الهادي لكلّ خير

هلال ناجي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

زادك الله استبصارًا في معتقدك ودينك واستبانة لمراشد
إيمانك ويقينك وملأ إلهامًا صدرك نورًا ساطعًا وأطوار
ضميرك حقًا ناصعًا وجعلك من الذين يعرفون ما مواخفي من
البهي يعيون الإلباب والنهى وهو صك من شعاع ناظرك
المنطفي وادراك بصرك المستفي بصيرة نفذ فما لا ينفذ
فيه أحد ناظر ولا بلغ مطامحها لمح باصر والهمك
التشبث على اظلام ذلك السواد واوزعك الشكر على اضاءة
سواد الفؤاد فان من قاسمه الله في شيء فاصابه في القسمة
اعظمها منفعًا واكرمها مستمتعًا واعزها نفدًا واوراها
زندًا واعذبها وردًا لحقق ان يشكر على تلك القسمة فاحمد
مولى تلك النعمة وحسب العبد ان الله قسم فخرا وكفاه
ما اخر له عند الله ذخرا والذي دعاني الى اقتضاب
هذه الرسالة انى ظننت بك الضجر والجزع مما دفعت اليه
من خرق المحال قطع الله الجهل وسوء تدبير القداح

نموذج من المخطوطة المعتمدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

زادك اللهُ استبصاراً في معتقدك ودينك، واستبانَةً لمراشد إيمانك ويَقينك. وملأَ أحناءَ صَدْرِك نوراً ساطعاً وأطواءَ ضميرك حَقّاً ناصِعاً. وجعلكَ من الذين يبصرون ماهو أخفى من السُّها [1]، بعيون الألبابِ والنُّهى. وعَوَّضكَ من شُعاع ناظركَ المنطفي، وإدراك بصرك المنتفي، ببصيرة تنفذُ فيما لا ينفُذُ فيه أَحَدٌ ناظرٍ، ولا يبلغ مطامحَها لَمْحُ باصرٍ. وألهَمَكَ الصَبْرَ على إظلامِ ذلك السوادِ، وأوزعكَ الشكرَ على إضاءة سواد الفؤادِ، فإنَّ من قاسَمَهُ الله في شيئين فأصابَهُ في القسمة أعظمهما مُنْتَفَعاً وأكثرهما مُسْتمتعاً، وأعزّهما نَقْداً، وأوراهما زَنْدا، وأعذبهما وِرْدا، لحقيقٌ أنْ يشكر على تلكَ القسمة، ويسجد لمولى تلك النعمة، وحَسْبُ العبد أنّ الله قسَمه فخرا، وكفاهُ ما اذخر له عند الله ذخرا.

والذي دعاني إلى اقتضاب هذه الرسالة أنّي ظَنَنْتُ بكَ الضجرَ والجَزَعَ مِمّا دُفعتَ إليه من خرق الكحّال [2] قطّع الله أكحَلَهُ، وسُوء تدبير القَدّاح [3] (١٢ ب) قَدَّح اللهُ في ساقه، فحاولتُ أن أتْحفكَ بما يُسْلِي بعضَ هَمّكَ، ويُخلي طرفاً من غَمِّك. فإنّ لإصابَةِ المَفْصِلِ في القول الموعُوظ به أَثَراً في تسلية القلوب، وتجلية الكروب.

---

(١) السُّها: كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعش.

(٢) الكحال: من يداوي العين بالكحل.

(٣) القدّاح : الذي يخرج الماء الأبيض الضار من العين.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قُطِعَتْ رجلُ عروة بن الزبير[١] فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله[٢]: «والله ما كُنّا نُعِدّك للصِراع، لقد أبقى الله أكثرك، أبقى اللهُ سَمْعَكَ وبَصَرك ولسانك وعقلك ويديك، وإحدى رجليك»[٣].

قال: يا عيسى! ما عَزّاني أَحَدٌ بمثل ما عَزّيتني به على أنّي قد علمتُكَ أوقَرَ من أركان رَضْوى، وأرزنَ من هَضَبات سَلْمى، ومازِلْت مِنْ سنان بن حارثة أحلَم، ومن فَرْخِ العُقاب أحْزَم، فلنْ تُطْلِقَ حبوةَ مثلِكَ شديدةٌ من شدائدِ الدهر، ولن تُزيل مناكِبَك طارِقَةٌ من طوارق الضُرِّ.

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشي: (٢٣ - ٩٤ هـ) من الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة. عرف بصبره وزهده وفقهه لم يزجّ نفسه في الفتن ومات بالمدينة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - ر -. ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٨ وطبقات ابن سعد ٥ / ١٣٢ - ١٣٥ ونسب قريش ص ٢٤٥ - ٢٤٦ وحلية الأولياء ٢ / ١٧٦ - ١٨٣ وصفة الصفوة ٢/ ٨٥ - ٨٨ وعبر الذهبي ١ / ١١٠ - ١١١.

(٢) عيسى بن طلحة بن عبيد الله: أبوه طلحة الخير أحد العشرة المبشرين بالجنة. وأمّه سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة (نسب قريش ص ٢٨٣) روى الحديث عن عمرو بن مرة بن عبس الجهني (تاريخ الإسلام - عهد معاوية - ص ٢٨٠) ومن ولد عيسى بن طلحة هذا: محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة، وكانت ابنته فاطمة بنت محمد عند «المنصور» فولدت له سليمان ويعقوب وعيسى بني المنصور أمير المؤمنين (نسب قريش ٢٨٧ - ٢٨٨). توفي عيسى بن طلحة في خلافة عمر بن عبد العزيز وكان ثقة كثير الحديث (الطبقات الكبير لمحمد بن سعد ١٢٢/٥).

(٣) ورد في وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٦ ما نصه: «وكان أحسن من عَزّاه إبراهيم بن محمد ابن طلحة فقال له: والله مابك حاجة إلى المشي، ولا أَرَبٌ في السَعْي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كُنّا إليه فُقَراء، وعنه غير أغنياء، من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله وليّ ثوابك، والضمين بحسابك.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنتَ كما قال بعضُ الناس:

مُتَوَقِّرٌ عَصْفُ النَوائب حَوْلَهُ وكأنَّما هُوَ في الثَبات ثبيرُ»

ولكنَّ أبا فراس الحمداني قد نضَح عنّي، وسوّغ لي ما ظننتُ بكَ من ظَنّي حيث قال: «ولقد ظننتُ بك الظنو نَ لأنه من ضَنّ ظَنّا».(*)

اعلم أن الإنسانَ بقلبهِ كما أن النخلة بِقَلْبها، والقلبُ بلُبِّه كما أنّ (١٣ آ) النواةَ بِلُبِّها، وما عدا ذلك فهو بالقياس إليه قِشْرٌ قليل الجَدا، تباينهما كتبايُنِ نِداءِ المصَوِّتِ والصَّدى. ومعلومٌ أنّ المصابَ ببصره ضَبْطُهُ أقوى وأبلغ، وحفظُه أوفى وأسبغ، وقَلْبُه أشدّ اجتماعاً، وأذنُهُ أصحّ استماعاً، وقريحتُهُ أصفى وأنْصع، وخاطرُهُ أسلسَ وأطوع، وذكاؤه ألهَبُ، وفكرُهُ في كُلّ معنى أذهب، ولبّه أحصف، وعقلُه للزجاجة أوْصف، ولسانُه أحَدُّ وأذْرب، وبالتصرُّف في المحاورات أدرب، كأنّ ما أخَذهُ من إبْصاره رَدَّهُ في استبصاره، وما استرجَعَهُ من ناظريهِ، أمَدَّ به أصغريهِ، فكأنَّ ما به الإنسان إنسان أثْبَتُ فيه قَدَماً وأمكن، وأشدُّ استقراراً عليه واسكنَ.

فأشكرالله على ما وهبَ، ولا تأْسَ على ما ذهبَ، وتدبّر قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿ما أصابَ من مُصيبَةٍ في الأرض ولا في أنْفُسِكم إلاّ في كتاب مِنْ قَبْلِ أنْ نَبرأَها إنّ ذلكَ على اللهِ يَسيرٌ، لِكَيلا تَأْسَوا على ما فاتَكُمْ ولا

[(*) في الديوان:

ولقد أسأت بك الظنو ن لأنه من ضن ظنا./ المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تَفْرَحُوا بما آتاكم﴾ (١).

وتأمل معنى البيتين المرويين عن ابن عباس (٢) ـ رضي اللهُ عنهما ـ فقد أتاهُما الحُسنُ والبهاءُ من جهتين، من جهة براعةِ نَظْمِهِما، وفخامة مَحَلِّ ناظمهما (١٣ ب)

إنْ يأخُذِ اللهُ مِنْ عيني نُورَهُما ففي لساني وقلبي مِنْهُما نورُ
قلبي ذكيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ وفي فمي صارمٌ كالبرق مأثورُ

وسمع أبو العيناء (٣) المتوكلَ يقول:«ما يمنعني من نظم أبي العيناء في

(١) الآية الكريمة رقم ٢٢ و ٢٣ / م سورة الحديد رقم السورة ٥٧ .. وتتمة الآية الكريمة رقم ٢٣ ﴿والله لا يُحِبّ كُلَّ مختالٍ فخور﴾.

(٢) عبد الله بن عباس (٣ ق . هـ ـ ٦٨ هـ) . ولد وبنو هاشم محاصرون بشعب مكة قبل الهجرة بثلاث سنين. وفي الحديث الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ ضمّه إليه وقال : اللهمّ عَلّمه الحكمة. كان يقال له حبر العرب وحبر الأمة. وكان من أعلم الناس بالفقه والتأويل والشعر والأنساب وأيام العرب والمغازي، تميز بحافظة عجيبة. توفي في الطائف بعد أن كفّ بصره في آخر عمره. انظر ترجمته وأخباره في : الإصابة رقم الترجمة ٤٧٨١ ج ٢ / ٣٣٠ ـ ٣٣٤ وصفة الصفوة ١ / ٧٤٦ ـ ٧٥٨ وحلية الأولياء (انظر فهارس حلية الأولياء ص ٥٩٠ ـ ٥٩١) ونكت الهميان ١٨٠ ـ ١٨٢. والبيتان لابن عباس في نكت الهميان ص ٧١ ورواية عجز الثاني :

كالسيف مأثور .

(٣) أبو العيناء: محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، أصله من اليمامة ومولده بالأهواز. أديب ظريف سريع الجواب عرف بنوادره وحدة ذكائه. له شعر حسن وترسل جيد كُفّ بصره بعد بلوغه الأربعين. توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ . ولمعاصرتنا الدكتورة ابتسام مرهون الصفار كتاب جيد عنه. والخبر في وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٥ بالصيغة التالية:

«وذُكر له أن المتوكل قال : لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال : إن أعفاني من رؤية الأهلّة وقراءة نقوش الفُصوص فأنا أصلح للمنادمة». فالخبر عندنا بصيغة أتم. وفي الأصل المخطوط : ما نسعي ، تحريف.

وانظر ترجمته في الوفيات ٤/ ٣٤٣ – ٣٤٨، ومصادره ثمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جملة ندمائي إلاّ أنّه ضرير». فقال: «إن أعفاني أميرُ المؤمنين عن المسايفة، ورؤية الهلال، وقراءة نقوش الخواتيم، صَلحتُ لمنادمته».

أرادَ أنّ أسباب الصلاح للمنادَمة متوافرةٌ فيه لأنّ تعلق جميعها بالعقل الأصيلِ، والفضلِ الباهرِ، والحفظِ القرير، واللسان الذلقِ، والمِلْحِ في المنطق، وليس لشيءٍ منها بالبصر مَتَعَلّق.

وممّا لا يرتابُ فيه الأريب أنّ عيني الإنسان هُما طليعتاه فيما يحدوهُ ويَسوقُه إلى السُبّة والعار، وربيئتاهُ [١] في الهوى الذي يكبّه في النار، بهما يطمحُ أوّلا إلى الدنيا وزهرتها، ثم يضربُ ثانيا في غَمْرتها. لأنّه إذا طمحت العينُ جُنّ القلبُ، وإذا جنّ القلبُ فقد أناخت البليّةُ والمحنةُ وباضت وفرّخَت الفتنةُ، وأعضَل الداءُ، وأعيا الدواءُ. فَرُبَّ نَظْرَةٍ أوقعت صاحبَها في ورطة، ودفعَتْهُ إلى خُطّة، وعانى فيه الشقاءَ العُمَرِيَّ، والغَرامَ العذريَّ، ومازالت شكيّةُ العُشّاقِ، (١٤ آ) ومادّة الصبابات والأشواقِ.. وكم ذي عينٍ رانٍ هو عند الله زانٍ، وإزارُهُ مشدود، ونطاقُه معقود، وهو بعيد من موقف المنامَسَة [٢]، ويده ملساءُ من الملامسَة، وماؤه في فِقْرتَه صَرىً [٣]، وفرسُه في آريِّه [٤] غير مُجرى، ومصحفُه في يده لم يَعدُ الشريعَةَ من مِساسِه، وقُمقمته مَلأى لم يَقْلِبْها وجوبُ الجَنابَة على راسِه، بشهادة

(١) الربيئة : الطليعة الذي يرقُب العدوَّ من مكان عالٍ لئلا يدهم قومه، والجمع ربايا وفي أصل المخطوط : ربيتاه ـ بدون همزة ـ ولم أجد لها معنى.

(٢) المنامسة : الاستتار للاقتناص.

(٣) صرى : أي محبوس في مستقرّه.

(٤) آريُّ الدابة : مكانها ومعلفها.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النبيّ ﷺ (العينان تزنيان) [١] ويُصَدّقُه قولُه عَزّ من قائل ﴿قُلْ للمؤمنِينَ يَغُضُّوا من أبصارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُروجَهُمْ﴾ [٢]

فهذا لعمري من الغبن الفاحش، وذاك من البلاء الباطش، ومن عُصِمَ منهما فقد لزمه أنْ يَعْتدّ بذلك كَوْزاً لا حَوْرا[٣] وعَدْلاً من الأيام لاجَوْراً، ويعتقد أنّه من الله كلاءَةٌ وعصمة، ولا يُحَدّث نفسَه أنها معَابٌ أو وَصْمَة.

واعلم أنّ الله لم يُقَيّض لعباده المؤمنين بليّة من البلايا، ولا أصابَهُم برزيَّةٍ من الرزايا إلاّ مشفوعةً بِمِنَّةٍ جسيمةٍ، ومضمومةً إلى نعمةٍ عظيمةٍ ومن أحقّ النِعم التي شُفِعَت بهذه البليّة، وأولاها بأنْ يفتتح اللبيبُ بذكرها ويُطْنِب في شكرها أنّ وجوهَ أكثرِ أبناءِ هذا الزمن الأهوج، وصُوَرَ جُلِّ أهل هذا القَرْنِ (١٤ ب) الأعوج، قد صارت محجوبةً عن نظرك، وضُرِبَتْ الأسدادُ بينها وبين بَصَرِك، فإنّها لعمر اللهِ الصُور التي ليس للكَرَمِ عليها مُعَرّج، ولا لعيونِ الأخيار في رؤيتها متفرّجٌ، والوجوه التي دُمِغَت باللُؤم أدَماتُها، وسُلِخَتْ بالهجاء سحكاتها[٤]، ونَضب عن أسرَّتها الحياءُ فلم تبق

---

(١) جاء في الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي ٢ / ٧١ الحديث الشريف بالنص التالي : «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرِجلان تزنيان، والفرج يزني».

(٢) الآية الكريمة رقم ٣٠ سورة النور م رقم السورة ٢٤. وتتمتها ﴿ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعُون﴾.

(٣) الكَوْر : الزيادة. والحَوْر : النقص . يقال : نعوذ بالله من الحور بعد الكور. أي من النقص بعد الزيادة.

(٤) هكذا وردت اللفظة في الأصل المخطوط. والمُسْحَنْكِكُ من كُلِّ شيء: الشديد=

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منه فيها قطرة، وهربَ منها النُبل ونسيَها فما يخطر بباله خطرة، وفقدت السيمياءَ التي يلوحُ ضياؤها على وجوه الأحرار، ويقطرُ ماؤها من خدود الأبرار، كأنّها لوقاحتها وتخليجها حوافر الأعْيار، أو صُمّ الأحجار، وما أحقّها بأَنْ تُضرب هذه الأشعار والحكايات لها أمثالا، قال النابغة [١] :

لَعَمْري وما عَمْري عليَّ بَهيِّنٍ لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ

أُقارِعُ عَوْفاً لا أُحاولُ غيرها وُجوهَ قُرودٍ تَبْتَغي من تُجادِعُ

الغَرَضُ في المصراع الرابع.

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِب [٢] :

لحا الله جَرْماً كُلَّما ذَرَّ شارق وُجوهَ كلابٍ هارشَتْ فازْبأرَّتِ

نَصَبَ الوجوهَ على الذمِّ.

وقال الحطيئة [٣] : (١٥ آ)

لَعَمْري لَقَدْ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ قِباحَ الوُجوهِ سَيِّئي العَذِراتِ

= السواد ـ اللسان سحك ـ وفي الصحاح ـ مادة سحك ـ : اسحنكك الليلُ أي أظلم. وشَعَرٌ مُسْحنك، أي شديد السواد. ولم أجد سحكة وسحكات في المعجمات، ولعلها سَحَنات.

(١) البتان للنابغة الذبياني في ديوانه ـ ط . أبي الفضل إبراهيم ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ من قصيدة. رواية صدر الثاني في الديوان : أقارِعُ عَوْفٍ، وهي رواية أجود. تجُادع : معناها تُشاتم.

(٢) البيت لعمرو في ديوانه طبعة مطاع طرابيشي ص ٥٥ . هارشت : من المهارشة وهي تقاتل الكلاب . وازبأرَّت : انتفشت حتى ظهر أصول شعرها وتجمعت للوثوب. وجَرْم : قبيلة معروفة.

(٣) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٣٣٢ . العَذِرات : الأخبية واحدتها عذرة، وقيل هي الأفنية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال بعضهم:

كأنَّ دَمامِلاً جُمِعَتْ فصُوِّرَ وَجْهُهُ منها

ويحكى عن امرأة بشار بن برد أنّها قالت له:«هل رأيتَ وجهكَ قَطُّ ؟ قال: لا. قالت: لو رأيتَ وجهكَ لأتَزَرْتَ عليه كما تأتَزِرُ على استك.

ونظر الصاحب بن عبّاد يوماً إلى صالح الورّاق فقال: ما أحوجَ هذا الوجه إلى سَلْحَةٍ خسروانيّة.

وقال:

إذا ما ضرطنا ضرطةً كسرويّة لجزنا وقلنا في عَوارض صالح[1]

وحجّ مُخَنّث فرأى رجلاً قبيحَ الوجهِ يستغفرهُ، فقال له: ما أرى لك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم.

وقال رجلٌ للجمّاز: خرج بي دُمَّلٌ في أقبح موضع منّي. فقال: كذبت هو ذا أرى وجهك ليس فيه شيء.

فالاكتحال إذَنّ بهذه الوجوه المُشَوّهة أذىً، والنظرُ إليها قذىً وأيّ قذى.

سمعتُ صديقاً من أصدقائنا الظِرافِ وقد أجرينا الكلامَ في رؤية هذه الأهلّة والبدور، والمنوِّرة للقلوب والصدور، فقال: قال النبيُّ ﷺ: (شيَّبتني سورةُ هود وأخواتها)[2]. وما أظُنُّ اللبيبَ العاقلَ ولا الكريمَ (١٥ ب)

(١) البيت أخَلَّ به ديوان الصاحب بن عبّاد، صنعة الشيخ محمد حسن آل ياسين ط ٢ - بيروت ١٩٧٤.

(٢) في الأصل «شيبتني صورة اليهود» وهو كما ترى تحريف واضح.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفاضل تُنازعُه نَفْسُه إلى أن يَفتح عليها أو يُجيل فيها إنْسانَهُ. ولله درُّ أبي العلاء حيث يقول [١] :

أَبا العَلا يا بن سُلَيْمانا إنَّ العَمى أوْلاكَ إحْسانا

لو أبصرتْ عيناك هذا الورى لم يَرَ إنسانُكَ إنْسانا

ومن أين تتأسف على النظرة إلى هؤلاء الموحشين غير المؤانسين، وإلى تفاوت حركاتهم، وتنافر سكناتهم، وسوء أدبهم إذا بَرَكوا بين يديك، أو قعدوا التَربُّعَ أو القُرفُصاء، وتابعوا في وجهكَ الثؤباءَ والمُطَواءَ، وأقبلوا عليكَ بتلك السِبال المُسْبَلة، والشوارب المطوَّلة، كأنَّ البدعةَ إحفاؤها، والسُنّة إعفاؤها. وكشَفوا لكَ عن رؤوسهم الجُلْح [٢] ، وكشَروا عن أنيابهم القُلْح [٣] ، واطلعوا إليك من أردانهم أكُفّاً قِصارا، إلاّ أنّها طالت أظفارا. قد تراكَم الدَرَنُ في بنانها وأناملها، وتراكبَ الوَسَخُ على بَراجمِها [٤] ومفاصِلها. هنالك يَوَدّ البصير حال أبي العَيْناء، ويتبرأ من تمنّي بَصارةِ «الزَرْقاء» [٥] . وهذا ذِكْرُ المكافيف من السَّلَف:

(١) أوردهما الصفدي في نكت الهميان ص ٧٥ بعد قوله : ومن المنحول لأبي العلاء المعري. رواية الثاني في نكت الهميان في نكت العميان: لو عاينت عيناك.

(٢) جَلِحَ جَلَحاً : انحسر شعره عن جانبي رأسه.

(٣) قَلِحَتِ السِنُّ قَلَحاً : تغيَّرتْ بصفرةٍ وخُضرةٍ تعلوها فهي قلحاء، والرجل أقلحُ، والجمع قُلْحٌ.

(٤) البُرْجمة : مَفْصِل الأصابع. والجمع : براجم.

(٥) المقصود : زرقاء اليمامة، المشهورة بقوة بصرها وبها ضُرب المثل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو قُحافة أبو أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه (*) . أبو سفيان بنِ الحارث[١] . (١٦ آ) البراء بن عازبٍ[٢] . جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري[٣] كعب بن مالك الأنصاري[٤] . حسّان بن ثابت[٥] . عبد الله بن أمّ مكتوم[٦].

(*) أبو قحافة عثمان بن عامرالتيمي والد أبي بكر الصديق. أسلم يوم الفتح. توفي سنة أربع عشرة. ترجمته في الإصابة رقم ٥٤٤٢ ، ٢ / ٤٦٠ ـ ٤٦١.

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ وأخوه من الرضاعة. وكان يؤذي رسول الله في جاهليته ويهجوه. وأسلم يوم الفتح. وشهد حنيناً وثَبَتَ مع النبي ورثى رسول الله بقصيدة حين انتقل إلى الرفيق الأعلى. مات سنة ١٥ للهجرة في خلافة عمر. ترجمته في الإصابة برقم ٥٣٨ ، ١ / ٩٠ ـ ٩١.

(٢) البراء بن عازب الخزرجي: صحابي جليل شهد الخندق. وفتح الريَّ سنة أربع وعشرين، صلحاً أو عنوة. وشهد مع علي رضي الله عنه الجملَ وصِفّين والنهروان. ثم نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وسبعين للهجرة بعدما أضَرَّ. ترجمته في نكت الهميان ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن سواد الأنصاري. من مشاهير الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وأحد المكثرين من الرواية. شهد مع رسول الله ﷺ عشر غزوات. وقدم مصر والشام. وكفَّ بصره بأخَرة، عمّر. ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين للهجرة. ترجمته في نكت الهميان ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي. شاعر الرسول ﷺ. توفي سنة خمسين، جمع شعره صديقنا الدكتور سامي مكي العاني ونشره في بغاد سنة ١٩٦٦. وانظر الدراسة الممتعة التي صدّر بها الديوان.

(٥) حسان بن ثابت: شاعر الرسول الأعظم، عُمّر، عاش ستين في الجاهلية ومثلها في الإسلام. خير طبعات ديوانه طبعة وليد عرفات الصادرة في بيروت سنة ١٩٧٤ في جزأين. اختلف في سنة وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ٤٠ هـ.

(٦) عبد الله بن أمّ مكتوم: صحابي جليل أسلم بمكة قديماً وكان ضرير البصر وقدم المدينة مهاجراً بعد بدرٍ بيسير. وكان يؤذن للنبيّ ﷺ بالمدينة مع بلال. وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلّي بالناس في عامة غزواته. وبسببه نزلت آية ﴿عَبَسَ وتولّى أن جاءه الأعمى وما يُدريك لعلّه يَزكّى﴾ فلما نزلت الآية دعاهُ رسولُ الله فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين. مات بالمدينة. ترجمته في الطبقات الكبير ٤/ ١٥١ ـ ١٥٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو سفيان [صخر] بن حرب[١] . عقيل بن أبي طالب[٢] . أبو أسيد الساعدي[٣] . قتادةُ بن النعمان[٤] . أبو عبد الله السُلَميُّ[٥] قتادة بن دِعامة[٦] . المغيرةُ بن مِقسَمٍ[٧] راوية إبراهيم النخعي. أبو بكر بن عبد الله

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب: والد معاوية «ر» أسلم يوم الفتح. شهد مع النبي ﷺ حُنينا والطائف، وفي الطائف رُمي فذهبت عينه. ثم أصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد، فبقي أعمى. وابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ. توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع. نكت الهميان ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) عقيل بن أبي طالب: أسلم قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة. وكان أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم وأيام العرب وأنسابها. وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك. توفي في حدود الخمسين وقد أضرَّ بصره. ترجمته في نكت الهميان ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) أبو أُسَيد الساعدي: واسمه مالك بن ربيعة . شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ومات بالمدينة سنة ستين للهجرة وقيل سنة ثلاثين وقد ذهب بصره. نكت الهميان ص ٢٣٣.

(٤) قتادة بن النعمان: بن زيد الأوسي الأنصاري . شهد العقبة وبدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ أصيبت عينه فردّها رسول ﷺ فكانت أحسن عينيه. كان من فضلاء الصحابة، وكانت معه رواية بني ظفر يوم الفتح. توفي سنة ثلاث وعشرين.أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ١٩٥-١٩٦.

(٥) أبو عبد الله السُلَمي: والصواب أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي واسمه عبد الله بن حبيب من أصحاب الإمام علي، كان مُقرئاً، ويُحمل عنه الفقه، وكان مكفوفاً. انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٢٨ و ٥٣٠ و ٥٤٧ و ٥٨٨.

(٦) قتادة بن دعامة: أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى المفسر، أحد الأئمة الأعلام. كان يضرب به المَثَلُ في حفظه. كان رأساً في الغريب والعربية والأنساب. توفي سنة سبع عشرة ومائة. نكت الهميان ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٧) المغيرة بن مِقسَم: الضَبّي الكوفي أبو هاشم الأعمى، أحد الأعلام. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢٩٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن الحارث بن هشام[١] . القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[٢] . عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[٣] . معاوية بن سبرة[٤] من أصحاب عبد الله بن مسعود. سعد بن أبي وقاص ذهبَ بصره في آخر عمره. عبد الله بن أبي أوفى[٥] . علي بن زيد من ولد عبد الله بن جدعان وُلِدَ وهو أعمى[٦] . أبو هلال الراسبّي[٧] . ابن عباس العباس ابن عبد

(١) أبو بكر بن عبد الله بن الحارث بن هشام: الصواب : أبو بكر بن عبد الرحمن. ليس له اسم، كنيته اسمه. ولد في خلافة عمر، وكان يقال له : راهب قريش، لكثرة صلاته. قال الزبير بن بكار: كان أبو بكر بن عبد الرحمن يقال له : راهب المدينة.عُرف بأمانته. وذهب بصره. مات سنة أربع وتسعين، وهي سنة الفقهاء، لكثرة من مات فيها منهم. صفة الصفوة ٢ / ٩٢.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق:أحد الأعلام. كان فقيهاً إماماً مجتهداً ورعاً عابداً ثقةً حجة. واضرَّ بأخرة. توفي سنة سبع ومائة. نكت الهميان ص ٢٣٠.

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أبو عبد الله الهذلي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، من أعلام التابعين. كان عالماً ناسكاً. أضَرَّ بأخرةٍ. توفي سنة اثنتين ومائتين. نكت الهميان ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٤) معاوية بن سبرة: أبو العُبيدين من بني عامر بن صعصعة. كان مكفوفاً. وكان عبد الله بن مسعود يقرّبه ويدنيه، وكان من أصحابه وروى عنه. الطبقات الكبير ٦ / ١٣٥.

(٥) عبد الله بن أبي أوفى: هو عبد الله بن علقمة الخزاعي الأسلمي. أحد من بايع بيعة الرضوان. قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، نأكل الجراد. شهد الحديبية وخيبر. ولم يزل بالمدينة إلى أن قبضَ رسول الله ﷺ فتحوّل إلى الكوفة، وكفّ بصره بأخرة. توفي سنة ست وثمانين للهجرة . نكت الهميان ص ١٨٢.

(٦) علي بن زيد: أبو الحسن القرشي التيمي البصري الضرير، أحد أوعية العلم في زمانه. ولد أعمى. قال خليفة: مات في الطاعون، وقال مُطين: سنة تسع وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢١٢.

(٧) أبو هلال الراسبي: هو محمد بن سليم، وكان أعمى. توفي سنة خمس وستين ومائة. وكان من التابعين. ذكره ابن الجوزي في فصل «تسمية العميان الأشراف» من كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر. المعارف لابن قتيبة ص ٥١٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب[١] ، قالوا لم يوجد ثلاثة مكافيف على نسقٍ واحدٍ غيرُ عبد الله والعباس وعبد المطلب.

ويروى أن معاوية قال لابن عباس : أنتم يابني عبد المطلب تُصابونَ في أبصاركم . فقال ابن عباس : وأنتم يابني أميّةتُصابون في بَصائركم[٢].

(١٦ ب) إنّ هؤلاء لك قدوةٌ، ولك فيهم أُسْوَةٌ.

فإنّ الأُلى بالطَفِّ من آلِ هاشمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا للكرام التَأَسِّيا[٣]

(١) العباس بن عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل عم رسول الله ﷺ. وكان العباس رئيساً في الجاهلية وفي قريش وإليه كانت عمارة البيت والسقاية في الجاهلية. أسلم العباس قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه. ثم أظهر إسلامه يوم الفتح وشهد حُنيناً والطائف وتبوك. وكان أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب. وكان النبيُّ ﷺ يكرمه ويجلّه. وقصة استسقائه الحرمين معروفة. وأضرَّ رضي الله عنه بأخرة. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. نكت الهميان ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) القول في نكت الهميان ص ١٨٢ بالنص التالي: وقال له معاوية رضي الله عنه: مابالكم تصابون في أبصاركم يا بني هاشم؟ فقال له: كما تصابون في بصائركم يا بني أمية.

(٣) البيت دون عزو في اللسان (أسا) و (أولى). الأُلى: الذين. الطف : اسم موضع. تآسوا: أي آسى بعضهم بعضا. قال ابن برّي:

وهذا البيت تمثل به مصعب يوم قُتل. وتآسوا فيه: من المؤاساة كما ذكر الجوهري لا من التأسِّي كما ذكر المبرد، فقال تآسوا بمعنى تأسَّوا، وتأسَّوا بمعنى تَعَزَّوا. ولي في فلان أُسْوة وإسْوة ، أي قدوة . قال هلال بن ناجي : الصواب ماذهب إليه المبرد، فتأسَّوا من التأسِّي وهو الاقتداء لا من المؤاساة، والله العالم. وورد البيت في تاريخ الطبري ٦ / ١٥٦ بالرواية التالية: قال عروة بن المغيرة بن شعبة: فقال [مصعب] يا عروة إليّ، فدنوت منه، فقال: أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صَنَع بابائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فقال

إنّ الأُلى بالطفِّ من آل هاشم تأسَّوا فَسَنُّوا للكرام التأسِّيا

قال : فعلمتُ أنه لا يريمُ حتى يُقتل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلتَربِط ذكرَهم على قلبك، ولتنفِّس عن كربك، واصبر كما صبرَ أولو العزمِ، واعمل عملَ ذوي الحزم، واشغل جوارحَكَ الباقية بطاعةِ الله [و] قلبَكَ بالفكر في جلالِه وكبريائه، وتَذكّر ماأُعدّ لأعدائه وأوليائه، ولسانَكَ بشكر أياديه ونعمائه، ورجليكَ بنصبهما في مواقف التعبّد لوجهه والسعي بهما في مظانّ مرضاتِه، ويديكَ برفعهما داعياً مُستَغْفرا، وبَسْطِهما باكياً على الفرطات مُستَعْبِرا، فإنَّكَ إنْ فعلتَ ذلكَ وفيك المعتقدُ المتين، والفضل المبين، والرسوخ في العلم، والتردّي بالحلم، والعقل الرجيح والخُلق السجيح، والفؤاد البريّ من الدغل، النقيّ من النغل، وجدتَ بردَ الرضا والسلوة، وقطفتَ العافية الحُلوة.

تمت بحمد الله ومنّه والصلوات على رسوله محمد وآله أجمعين (١٧ آ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net